

فوضى المصطلحات العربية في علم النص

أ. علي حلواجي، جامعة الوادي

ملخص: من خلال عرض الأمثلة والنماذج يحاول المقال تشخيص ظاهرة الفوضى وعدم الدقة في الاستعمال الحاصلة في مصطلحات علم النص العربية وبالذات في عينتين اثنتين منه وهما : مفهوم علم النص وفروعه اللغوية وكذا أهم معايير النصية المتمثلة في الاتساق والانسجام وأدواتهما، كما يقدم المقال مفاهيم دقيقة للمصطلحات التي يقع الخلط فيها من وجهة نظره ويقترح بعض الإجراءات لتوخي الدقة ، داعيا الجهات التي يفترض أن تكون معنية إلى أخذ الأمر بعين الاعتبار.

Résumé:

A travers l'exposition des exemples et des modèles, l'article essaye de diagnostiquer le phénomène de confusion et d'imprécision dans l'usage de terminologie arabe concernant la science du texte ,essentiellement dans deux de ses échantillons qui sont: l'acception de la science du texte et ses branches linguistiques; ainsi que les plus importantes normes textuelles représentées dans la cohésion et la cohérence et leurs outils.

L' article donne aussi des notions précises des termes sujets aux ambiguïtés et suggère quelques procédures pour la précision , appelant les parties concernées á prendre en considération ce phénomène.

1. مقدمة

الفوضى وعدم الدقة في استعمال المصطلحات العلمية العربية عموما ظاهرة مرضية معروفة ومتفشية في جميع التخصصات، وتظهر أكثر في الاختلاف فيها بين الأقاليم والأقطار العربية، وهي أوسع وأكبر وأخطر من أن يعالجها مقال هنا أو هناك، لأن أسبابها وخلفياتها لها جذور تمتد إلى ميادين أخرى وتتوزع حتى خارج التخصصات العلمية واللغوية والأدبية، وأشدّها حساسية وأقواها تحكما هو الميدان السياسي.

ولكن ذلك لا يمنع المقال من أن يسهم في تحديد الظاهرة وتشخيص أعراضها في جانب من الجوانب العلمية عسى ذلك أن يضيف جديدا ويحدث مع غيره شيئا ، هذا بالضبط ما يهدف إليه المقال وهو يحاول الإجابة على سؤال: فيم تتجلى فوضى المصطلحات العربية في علم النص؟

ويمكن تلخيص الإجابة في أن العديد من المفاهيم قد يعبر عن الواحد منها بعدة صيغ اصطلاحية، سواء أكانت مترجمة عن مصطلح أجنبي أم مرتجلة عربية من التراث أو غيره ، فكل مترجم أو منتج يأتي بتسمية للمفهوم فإذا لم يتعبه فيها من يجتهدون بعده يحدث تعدد التسميات وتنتج الفوضى، وذلك ما هو حاصل على أرض الواقع وموجود في مختلف المؤلفات وهي تتناول شتى المفاهيم، وتوضح صورته فيما يلي من خلال عرض تفاصيل عينتين اثنتين فقط ، هما: مفهوم علم النص و فروع المتعلقة باللغة، ثم أهم المعايير النصية المتمثلة في الاتساق والانسجام وأدواتهما.

2- في مفهوم علم النص وفروعه اللغوية:

أول ما يلاحظ خائض غمار "علم النص" أن مفهومه تتجاذبه ترجمات عربية عديدة لثلاثة مصطلحات أجنبية يبدو أنها تستعمل في مصادرها الأصلية لمفاهيم مختلفة، لكل مصطلح مفهومه كما سيتضح لاحقاً، وهذه المصطلحات هي:

- علم النص = Science du texte (ou) textologie
- لسانيات النص، علم لغة النص ، علم اللغة النصي = Linguistique textuelle
- نحو النص = Grammaire du texte

فأغلب المؤلفات العربية تستعمل هذه المصطلحات لمفهوم مشترك ينطبق في أكثر الأحيان على مفهوم "علم لغة النص"، وأقوى دليل على ذلك هو اختلاف صيغ عناوين المؤلفات التي تتناول الموضوع ذاته، الأمر الذي يوضحه ويمثل له الجدول الآتي:

التسمية الغربية (الفرنسية)	الترجمة العربية	مثال لمستعملي الترجمة (الباحث والكتاب)	توضيح
			ح

علم النص	صلاح فضل، "بلاغة الخطاب وعلم النص."	هذه التسمية أشمل في مضمونها من بقية التسميات التي تبدو أنها فروع منها (كما سيوضح المقال لاحقاً) ويؤكد لها صلاح فضل ويجعل مقابلها بالانجليزية "discourse analysis" دون التفات لعدم حرفية الترجمة ويقول في شأنها: «..و لا يخرج الأمر عن هذين الحدين [أي التسميتين الفرنسية والانجليزية] في بقية اللغات الحية، مما يجعل ترجمته إلى "علم النص" في العربية أمراً مقبولاً» ¹
لسانيات النص	محمد خطابي، "لسانيات النص: مدخل إلى انسجام الخطاب"	يستعمل هذه التسمية بترجماتھا المختلفة اللسانيون، ومبرر اختلاف ترجماتھا العربية هو أن المشاركة يستعملون في مقابل Linguistique مصطلح "علم اللغة" بدل اللسانيات" الذي يستعمله المغاربة. أما بين "علم لغة النص" وعلم اللغة النصي" فالفرق طفيف وهما للتطابق أقرب. ويضاف إليهما استعمال آخر غير شائع "علم النص اللغوي" ²
علم لغة النص	سعيد حسن بحيري، "علم لغة النص: المفاهيم والاتجاهات"	
علم اللغة النصي	صباحي إبراهيم الفاقي، "علم اللغة النصي بين النظرية والتطبيق"	
نحو النص	محمد الشاوش، "أصول تحليل الخطاب، في	هذه التسمية للنحويين أطلقوها على النص. على غرار "نحو الجملة" واستعمالها شائع بكثرة، وتستعمل
Grammaire du texte		

أحيانا بديلا عن كل التسميات أو الترجمات السابقة استعمالا يستدعي الدقة والتفصيل كما سيأتي عقب هذا الجدول.	النظرية النحوية العربية تأسيس (نحو النص)"		
--	---	--	--

وإذا أردنا التفصيل من داخل المؤلفات فإن الظاهرة تفوق الحصر ولكن يمكن عرض بعض الأمثلة التي يُستعمل فيها أكثر من مصطلح واحد لمفهوم واحد أو العكس.

فهذا - مثلا - سعيد بحيري، وهو لا تخفى عليه الفروق بين هذه المصطلحات ومن أدلة ذلك قوله: "ويمكن أن ننهي من تلك الآراء المختلفة، التي حاولت تحديد مهام "نحو النص" إلى أنه ليس من السهل إلى الآن حصر التصورات المتباينة غاية التباين التي تأسست عليها جهود فريق كبير من الباحثين في مجال "علم لغة النص" بوجه عام.³

فالفرق عنده واضح بين "نحو النص" و "علم النص" بحيث يفهم من كلامه أن الأول فرع من الثاني.

ولكن بالرغم من ذلك ها هو الباحث نفسه في موضع آخر لا يدقق الفرق بين "نحو النص" و "علم النص" (الذي هو أعم) بحيث نجده في الفصل الثالث من كتابه المذكور أعلاه وتحت عنوان "نحو النص" ينقل فقرة لصالح فضل تبدأ بعبارة « فهمة علم النص » ويظل (بحيري) يحيل إلى "علم النص" الضمائر في فقرتين مولييتين يعلق فيهما عما نقله فيبدأ الفقرة الأولى بقوله «وهكذا يتعامل هذا العلم...» ويزيد في الثانية « كما أنه يمكن أن يكون معينا...» ثم ما يلبث أن نجده يستعمل مصطلح "نحو النص" عوض "علم النص" (الذي بدأ به الكلام) في وسط الفقرة الثانية وفي آخرها حيث ختمها بقوله « لذلك كله أصبح نحو النص عند كثير من اللسانيين المعاصرين ضرورة لا اختيارا»⁴ (*)

وإذا كان الأمر كهذا في الغموض والاستعمال غير الدقيق لهذه المصطلحات عند من يُعدّ من بين أكبر المهتمين من العرب بعلم النص فكيف بغيره من الباحثين، الذين نعرض- فيما يلي - أمثلة أخرى من أعمالهم:

يقول أحدهم⁵ في بداية إحدى الصفحات: « ففي كتاب الجرجاني دلائل الإعجاز تستوقف الباحث الكثير من مفردات نحو النص » ثم يقول في آخرها: « بما أن البلاغة هي التربة الخصبة التي ينشأ فيها علم النص، فإن بواكير نحو النص قد خاض غمارها الجرجاني قبل عشرة عقود .. » ويقول في الصفحة الموالية: « ... فكل ما جاء في قوله من مفاهيم، الواحد منها يعد لبنة أساسية في علم النص ونحو النص » ويبدو أنه عطف "نحو النص" على "علم النص" من باب التوكيد لأنه لا يوجد في كلامه ما يدل على التفريق بين المصطلحين؛ إلى

أن يقول في نفس السياق عن النحاة والبلاغيين العرب : «.. إلا أن إشاراتهم تلك لبنات مؤسسة في علم النص». والمتتبع لكل ما قاله هذا الباحث يجد أنه يستعمل هذين المصطلحين (علم النص و نحو النص) على الخصوص وكأنهما مترادفين في المفهوم دون مناسبة واضحة لاستعمال هذا دون ذاك .

هذه العينات من الاستعمال غير الدقيق لمصطلحات "علم النص" وفروعه تعد نماذج أفقية عند كل باحث على حدة ، وإذا أردنا نموذجاً عمودياً أي نموذجاً للاستعمالات عند مختلف الباحثين نجد في بحث آخر الموضوع نفسه وهو "الإشارات النصية في التراث العربي" يُستعمل فيه مصطلح "لسانيات النص" عوض "نحو النص" أو "علم النص" ففي الوقت الذي عنون الباحث الأول (السابق ذكره) الموضوع بـ "نحو النص عند القدماء.." جاء عنوانه في البحث الثاني ، "الإسهامات العربية في مجال لسانيات النص"⁶ . مع أن الكلام واحد تقريباً عن الجرجاني وغيره ؛ ويؤكد ذلك ما جاء في المرجعين ذاتهما حول الانسجام ، حيث يقول الأول: «إن نحو النص يهتم بألية انسجام النص وبالكيفية التي يتماسك بها النص، سواء كان ذلك من الناحية الشكلية أو الدلالية»⁷ وجاء في الآخر: «الانسجام (الحبك) الذي يعد من أبرز المفاهيم اللسانية النصية»⁸ . والذي يهمّ هنا - أكثر من أي شيء آخر يتعلق بالمضمون - هو التأكيد على أن أكثر من باحث واحد استعمل مصطلحين مختلفين لمسألة واحدة ، كنموذج للاستعمال العمودي غير الدقيق لمصطلحات علم النص.

والمبرر الشائع الذي يستند إليه عموم الباحثين وهم يصرون على اللامبالاة بالدقة في التفريق بين هذه المصطلحات وضبط استعمالها هو أنه لا يوجد فرق بينها، وإن وجد في بعض الحالات فإن التغاضي عنه "أمر ممكن تسمح به العلامة اللغوية ومرونة العلم الذي يصفها"(**) إلا أن المقال له وجهة نظر مغايرة بحيث يدعو إلى الدقة في استعمال كل مصطلح في موضعه لأن لكل مصطلح مفهوماً خاصاً به إذا توخينا الدقة، وهو يستند في ذلك إلى الاستعمال الموحد والتفريق المضبوط بين المصطلحات عند أغلب الباحثين في اللغات الأجنبية؛ ويرى أن المفاهيم الدقيقة للمصطلحات المذكورة في الجدول أعلاه منها العام ومنها الخاص ومنها الأخص ويمكن تفصيلها على النحو الآتي:

1.2- "علم النص": وهو المجال العام، فهو ليس خاصاً باللغة وحدها بل تشترك فيه عدة تخصصات علمية تعنى كلها بالنص لتدرس منه ما هو من جنسها؛ فإذا كان علم اللغة يعنى في الدرجة الأولى بالأبنية النحوية للجمل والنصوص، كما يعنى بالشروط والخواص التي تتصل بالسياقات المختلفة ، فإن كلاً من علم النفس والتربية - مثلاً- يهتم بالطرق المختلفة لفهم النصوص واستذكارها وإعادة صياغتها، ويقوم علم النفس الاجتماعي وعلوم الاتصال أيضاً ببحث التأثيرات التي تحدثها النصوص على آراء وسلوك المتلقين وطرق تفاعلها لتحديد الأشكال النصية للتواصل في مختلف المواقف والمؤسسات.. وقل مثل ذلك في كل مجال علمي كالعلوم الشرعية وعلم الاجتماع والفلسفة وغيرها؛ فكل مجال يعالج النص حسب تخصصه.

إن " علم النص " يجمع كل مشكلات التحليل النصي وأهدافه الموزعة على العلوم المختلفة لتصبح موضوعاً واحداً لدراسة متكاملة مشتركة بين تلك العلوم⁹، وما علم اللغة إلا واحد من هذه العلوم ، وإن كانت اللغة هي أساس الدراسة لأن النص الذي تعتمد الدراسة تبنيه اللغة.

2.2- علم لغة النص: أو علم اللغة النصي أو لسانيات النص: وهي تسميات لمسمى واحد – كما سبق ذكره في الجدول- ومجاله أضيق من "علم النص" أي إن "علم لغة النص" عنصر ينتمي لمجموعة "علم النص" الذي يدرس النص من خلال تخصصات متعددة - كما سبق- ومن هذه التخصصات "علم اللغة" الذي يدرس جانب اللغة في النص وليس الجانب النفسي أو الاجتماعي أو الشرعي أو غيره. فـ "علم لغة النص"(ومرادفاته) خاص بلغة النص الظاهرة و الباطنة و هو فرع من "علم النص" وكما سبق ذكر قول لسعيد بحيري يفرق فيه بين "علم لغة النص" و "نحو النص" هاهو في قول آخر يميز بينه وبين "علم النص" أيضا فيقول: «إن الاختلاف بينه(أعني علم النص بوجه عام وعلم لغة النص بوجه خاص) وبين العلوم الأخرى يتمثل أساسا في التصور الكلي الذي يتسم به والاتساع المعرفي الذي اختص به دون غيره..¹⁰ ففي الوقت الذي يعبر فيه عن سعة العلمين كليهما يشير(فيما جعله بين قوسين) إلى أن "علم النص" عام و"علم لغة النص" خاص فالثاني جزء من الأول.

3.2- نحو النص: وهو أخص من " علم لغة النص " (وما دلّ دلالاته من المصطلحات) لأن " لغة النص " لها مستويات عدّة والنحو واحد منها. يقول أحد الباحثين: «نحو النص، ودلالة النص، وبراهماتية النص تعد فروعا لعلم نص لغوي»¹¹ ويؤكد ذلك في تعريفه لنحو النص حيث يقول:

« يفهم تحت " نحو النص " ذلك الفرع من قواعد النص التي لم تُقَم بعد، وهو الذي يصف وسائل التعبير المسؤولة عن عملية تشكيل النص.

وخلافا لدلالة النص وبراهماتية النص يقتصر مجال نحو النص على الوسائل اللغوية المتحققة نصيا والعلاقات بينها»¹².

ويتجلى دور التداولية(البراهماتية) في تحليل العلاقة بين النص و من يستخدمه ، أما النحو فيعنى بتوضيح الشروط المحددة والقواعد التي تضمن صياغة الأقوال جيدا، والدلالة تهتم بالشروط التي تجعل هذه الأقوال مفهومة وقابلة للتفسير.¹³

وهذا سعيد بحيري الذي خالف القول السابق (تعريف زتسيسلاف لنحو النص) وقد ترجمه هو ذاته وعمم مع من عمم استعمال مصطلح "نحو النص"(كما في مثاله السابق)

ولكنه يعترف بأن تسمية القواعد الدلالية والتداولية للنص عند فندايك "بالنحو" غير عادية فيقول: «لاشك أن مصطلح "نحو" هنا ذو دلالة خاصة.. وليس مجموعة من القواعد أو القيود الصارمة التي تطبق على النص.»¹⁴ وفي موضع آخر يتكلم عن "فارق جوهري بين القواعد النحوية المعيارية والقواعد الدلالية غير المعيارية"¹⁵ وفي هذا القول وسابقه اعتراف بأن الجمع بين القواعد الشكلية والقواعد الدلالية تحت تسمية واحدة هي "نحو النص" أمر تنقصه الدقة ، وتؤيد هذه الفكرة إشارتان أخريان:

- الأولى للزناد في "نسيجه" الذي اضطر للتوضيح حين ذكر "نحو النص" وسجل في الهامش قوله: « "نحو" هنا تعني كل القوانين التي تحكم نظاما ما»، لعلمه أن المتعارف عليه هو أن للنحو معنى آخر أخص.¹⁶

- والأخرى للشاوش في أطروحته حول تأسيس "نحو النص" وبالضبط في "صلة نحو النص بالنحو" حيث يقول (رغم استعماله للمصطلح): «لئن أطلقت على الدراسات النصية تسمية نحو النص فإنك لا تكاد تجد لهذه التسمية من خلال تقليب المسائل التي تناولوها فيه مبررا..»¹⁷ (***)

فالأدق إذن هو أن "نحو النص" أخص من "علم لغة النص" فهو جزء منه وليس مرادفاً له وذلك كما جاء في تعريف زتسيسلاف السابق؛ فمثلاً أن التماسك النصي ينقسم إلى قسمين بتسميتين مختلفتين (الاتساق والانسجام) فلم لا تكون قواعدهما كذلك قسمين على غرار قواعد اللغة التي تنقسم إلى نحو وصرف؟ فاختلاف طبيعة كلا القسمين من القواعد النصية (الشكلية والدلالية) يفرض اختلاف تسمية كل منهما.

ومهما تكن قوة الحجج المذكورة وتأثيرها لبلوغ ما تهدف إليه فإن "نحو النص" في واقع الأمر هو فرع من "علم لغة النص" وليس كله؛ ومهما تكن درجة صحة هذا الحكم فإنه لا يعدم تأثيراً في المسألة وأقل تأثيره فيها أنه يضعها في دائرة المختلف فيه.¹⁸

والخلاصة أن مصطلح "علم النص" عام وشامل لمختلف التخصصات التي لها علاقة بالنص ولذلك وصفه صلاح فضل بأنه "عبر تخصصي" (interdisciplinaire)¹⁹ وأن "علم لغة النص" خاص باللغة وله مرادفان مبرران (في الجدول أعلاه) هما: "علم اللغة النصي" و"لسانيات النص". أما "نحو النص" فهو أخص من سابقه لأن مجاله هو الجانب الشكلي السطحي من لغة النص .

3 – في أهم المعايير النصية (الاتساق والانسجام وأدواتهما):

تتناقل العديد من مراجع "علم النص"²⁰ ما عرف "بمعايير النصية السبعة" NORMS (OF) TEXTUALITY أي المكونات التي تجعل النص كلاً موحداً متماسكا دالاً، لا

مجرد سلسلة من الكلمات والجمل غير المترابطة، وهي تتكامل في تحقيق الطبيعة النصية.

وهذه المعايير هي الفكرة المركزية في عمل رائد قام به الباحثان "دوبوجراند Debeaugrande ودرسلر Dressler المسمى "مدخل إلى علم لغة النص". وهي:

- 1-السبك(الاتساق) cohesion أو الربط النحوي والشكلي.
- 2-الحبك(الانسجام) coherence أو التماسك الدلالي.
- 3-القصد intentionality أي هدف النص.
- 4-القبول أو المقبولية Acceptability وتتعلق بموقف المتلقي من قبول النص.
- 5-الإخبارية أو الإعلام Informativity أي توقع المعلومات الواردة فيه أو عدمها.
- 6-المقامية Situationality وتتعلق بمناسبة النص للموقف.
- 7-التناص Intertextuality .

وقد وردت هذه المعايير ضمن تعريف شامل للنص للمؤلفين الأصليين(دي بوجراند ودرسلر) وفي مقدمته يقولان عن النص أنه:«حدث تواصل يُلزم كونه نصاً أن تتوفر له سبعة معايير للنصية مجتمعة، ويزول عنه هذا الوصف إذا تخلف واحد من هذه المعايير...»²¹.

والملفت للنظر أن على رأس هذه المعايير عاملي التماسك ، الشكلي منهما والدلالي وهما:الاتساق والانسجام فهما أهم المعايير النصية ، ويؤكد هذا "أن معيار الربط احتل مكانة متميزة في أعمال: هاليداي ورقية حسن، وفان دايك ، ودي بوجراند وديسلر حين قدم في تصوراتهم على المعايير النصانية الأخرى"²² كما أنه ما من عالم يعرف النص – في الغالب - إلا و يجعل التماسك هو الحجر الأساس في تكوينه.

ومع أهمية هذين المكونين الأساسيين للنص فإن مصطلحاتهما العربية غير موحدة وغير دقيقة ، سواء ما تعلق بالمفهومين أم بأدواتهما.

1.3 – في مفهومي الاتساق و الانسجام:

إن لكل من مصطلح "الاتساق" و "الانسجام" ما يقابله بالتحديد في اللغات الأجنبية كما يلي:

- الاتساق: هو الترجمة لمصطلح cohésion بالفرنسية و cohesion بالانجليزية.
- الانسجام: هو الترجمة لمصطلح cohérence بالفرنسية و coherence بالانجليزية.
- ولكن – مع الأسف - في مختلف المراجع العربية عموماً، وكغيرهما من المصطلحات، فإن "الاتساق و الانسجام" يعانيان من مشكلة عدم التوحيد، إذ إن مفهوم كلا المصطلحين يعبر عنه بمتراذفات عديدة، وأحياناً يقصد باللفظ الواحد المصطلحين معاً. وعليه فسيتم فيما يأتي ذكر ما أمكن من هذه الألفاظ والمتراذفات:

* السبك والحبك: يستعمل بعض الباحثين "السبك" بدل "الاتساق" كترجمة لـ cohesion و "الحبك" بدل "الانسجام" كترجمة لـ coherence ومن هؤلاء الباحثين د.سعد مصلوح²³ و د.محمد العبد حيث يعلق الأخير على اختياره قائلاً: «... فقد أثرت

"الحبك" على غيره مما دار مداره في التراث، كما أثرته مقابلا عربيا مناسباً لـ coherence في الانجليزية أو kohaerenz في الألمانية وما مثلهما في لغات أجنبية أخرى، بدلا من هذا الحشد المتخالف من المقابلات العربية التي تكاد تختلف باختلاف الباحثين في ترجمة هذين الاصطلاحين»²⁴

*التماسك: يفضل بعض الباحثين أن يسمى المفهومين كليهما باسم واحد مثل لفظ: "التماسك" الذي قد يضاف له وصف ليصير "التماسك النصي" في حالة الشمول وإذا كان لابد من التفريق فيقال "التماسك الشكلي" للاتساق، و"التماسك الدلالي" للانسجام، ومن أصحاب هذا الاختيار د.صبيح إبراهيم الفقي الذي بعد أن يخوض في مسألة "تفريق علماء اللغة بين مصطلحي cohesion و coherence يقول: «ونرى - بدلا من هذا الاختلاف - أن المصطلحين يعنيان معًا التماسك النصي، ومن ثم يجب التوحيد بينهما باختيار أحدهما، وليكن cohesion، ثم نقسمه إلى التماسك الشكلي والتماسك الدلالي، فالأول يهتم بعلاقات التماسك الشكلية بما يحقق التواصل الشكلي للنص، والثاني يهتم بعلاقات التماسك الدلالية بين أجزاء النص من ناحية، وبين النص وما يحيط به من سياقات من ناحية أخرى.

ومن ثم فسوف نعتمد على مصطلح "cohesion" بمعنى التماسك في فصول الكتاب كلها»²⁵

* الرابط النصي والتماسك النصي: وبعض الباحثين يعبر عن "الاتساق" "بالرابط" أو عن "الانسجام" "بالتماسك" وكلاهما يوصف بالنصي، فهذا سعيد حسن بحيري يترجم المصطلحين عن الألمانية قائلا: «وحاول درس لر dressler أن يوائم في تفريقه بين الرابط النصي kohäsion و هو أوجه ترابط (نحوية) توجد على سطح النص، وبين التماسك النصي kohärence في البنية الدلالية المحورية»²⁶.

فيترجم cohesion بالرابط النصي، و coherence بالتماسك النصي.

* في التراث البلاغي: إن البحث في مصادر البلاغة العربية القديمة يفتح الباب على مصراعيه في التعبير عن مفهومي "الاتساق والانسجام" أو "السبك والحبك" حيث يقول أحد الباحثين: «... فضلا عن مفهوم الحبك نرى في مصادر التراث البلاغي مفاهيم أخرى ارتبطت بسياقاتها اللغوية في الدلالة على ما يدل عليه الحبك أو على شيء مما يدل عليه، كالاتصال، والامتزاج، والالتئام والالتحام، والتلاحم، والاتساق، والائتلاف، والاقتران، والارتباط، والملاءمة، والمناسبة، والتناسب وغيرها...»²⁷.

فكل هذه التسميات وغيرها، مثل التعلق والتضام والتلاؤم²⁸ والمشاكلة²⁹ والمؤاخاة بين المعاني³⁰ إن لم تدل في مصادرهما على المفهوم الشامل للاتساق والانسجام فهي تدل على جزء منها أو على آلية من آلياتهما.

وقد تبني بعض المحدثين شيئا منها، مثل "تمام حسان" الذي ترجم coherence بالالتحام³¹ و"محمد مفتاح" الذي اختار مصطلح "التشاكل" حيث «حلل في ضوءه قصيدة

كاملة توقف فيها عند التشاكل الصوتي والتركيبى والدلالي وربط ذلك كله بالقواعد التداولية»³².

و ليس المقصود من عرض هذه التسميات البديلة عن الاتساق والانسجام هو الإلمام بكل شاردة وواردة، لأن "كارثة التشتت" هذه أوسع من أن يلمها مثل هذا المقال وإنما يكفي التنبيه إلى أشهرها لتحقيق الغرض.

2.3 – في أدوات ووسائل الاتساق والانسجام:

وتنتقل عدوى التسميات من مفهومي الاتساق والانسجام إلى أدواتهما ووسائلهما بصور وأشكال مختلفة منها – على الخصوص- ما يتجلى في المظاهر الآتية:

1.2.3- تعدد التسميات وتطابق المفاهيم:

من الأدوات والوسائل ما يتطابق في التعريف والمفهوم ولكنها تختلف في التسمية والمصطلح فقط، وتأتي هذه الظاهرة في صورتين:

أما الأولى: فهي أن يكون منتج المفهوم هو نفسه ولكن تتعدد التسميات بسبب اختلاف في الترجمة – مثلاً- عندما يكون الإنتاج أجنبياً أو بسبب اجتهادات وتعليقات المحققين المحدثين عندما يتعلق الأمر بالتراث.

و من أمثلة المفاهيم المتعلقة بالأدوات والوسائل المترجمة التي سميت بأكثر من مصطلح :

المفهوم 1: المعرفة الخلفية / معرفة العالم.

المفهوم 2: الإطارات المعرفية / الأطر.

المفهوم 3: المدارات / المدونات.

المفهوم 4: المخططات الذهنية / السيناريوهات.

المفهوم 5: الأنساق الذهنية / الخطاطة...

ومن أمثلة مفاهيم التراث:

المفهوم 1: الإيضاح = (الخفي، الجلي) = البيان = التفسير = الاستئناف البياني = الربط البياني.

المفهوم 2: تلاحم الأجزاء الصوتية = تباعد مخارج الأصوات.

المفهوم 3: الإلحاق = انتظام المعاني.

المفهوم 4: الابتداء = المبدأ = الفاتحة = الافتتاح = المفتاح = الاستفتاح = المقدمة = التصدير = المطلع = الاستهلال.

المفهوم 5: التخلص = الخروج = التوصل...

أما الصورة الثانية: فهي أن تعاد فكرة المفهوم نفسها بطرح مغاير وبتسمية أخرى بين منتجين فأكثر. وقد يأتي الطرح الجديد بإضافات جزئية ولكنها غالباً ما لا ترقى إلى مستوى التمايز والاستقلال بتسمية خاصة، ومع ذلك تتعدّد التسمية.

والحقيقة أن أصحاب هذه الظاهرة غالباً ما يكونون معذورين خاصة إذا لم يكونوا متعاصرين أو لم يطلع بعضهم على إنتاج بعض؛ وكثيراً ما تحدث هذه الصورة في بعض

المفاهيم الغربية الحديثة التي توجد - أو توجد أصولها على الأقل- في التراث العربي، وعندما تترجم لا تراعى- للأسف- علاقتها بالمنتوج العربي الذي سبقها قصد توحيد المصطلحات العربية أو تقليصها. ومن أمثلة هذه الصورة: التضام والإعادة الضمنية والمناسبة (في مفهومها الشكلي أو المعجمي) والتكرار المعنوي. وكذلك البنية الكبرى والمقصد الأعظم.³³ وغيرها .

2.2.3- ليست كل الأدوات والوسائل هي أدوات ووسائل محضة:

يبدو من خلال الاستعمال اللغوي ومحتويات المعاجم أن لفظتي "الأداة والوسيلة" تعنيان الآلة والواسطة التي يتم بها تحقيق غاية ما³⁴، ولكن المتأمل في مجموع ما اعتبر أدواتٍ للاتساق ووسائلٍ للانسجام، إذا توخى الدقة، يجد أن بعضها لا يحمل هذا المعنى وحده وإنما هو أقرب إلى أن يحمل مع ذلك معنى آخر، ومن المعاني التي قد تحملها أداة الاتساق أو وسيلة الانسجام ما يلي:

أ-المبدأ: وقد صنفنا بعض الوسائل في مراجعها على أنها مبادئ، مثل ما جاء في مبادئ مقبولية العطف (الوصل) عند كل من الجرجاني والسكاكي³⁵ والفرق واضح بين المبدأ الذي يعد شرطاً لصحة التماسك والأداة أو الوسيلة بمفهومها السابق.

ب- المظهر: ليس من الصعب أن يجد القارئ في بعض المراجع من حين لآخر لفظ "مظهر" بدل "أداة" أو "وسيلة"³⁶ وخاصة عندما يتعلق الأمر ببعض وسائل الانسجام، التي توحى تسميتها بهذا المفهوم مثل تناسق فحوى الخطاب، ترابط القضايا، ترتيب الخطاب، التسويم والتحويل.. الخ. والفرق كذلك واضح بين "المظهر" الذي هو نتيجة لعملية ما و"الأداة أو الوسيلة" التي هي آلة أو واسطة لها.

وربما وجدت بعض المعاني والمفاهيم الأخرى التي تحملها بعض الأدوات والوسائل فتخرجها عن محضية مفهومها الدقيق، ولكن ما ذكر وحده يعد كافياً للتدليل على أن أدوات الاتساق ووسائل الانسجام- في حاجة إلى تصفية وتدقيق مفهومي الأداة والوسيلة حتى يتميز ما هو خالص منها من غيره.

3.2.3- حاجة بعض الأدوات والوسائل إلى التدقيق في التسمية:

بالإضافة إلى الدقة المطلوبة سابقاً في المفهوم، فإن بعض هذه الأدوات والوسائل يحتاج أيضاً إلى جهد آخر من أجل التدقيق في تسميته، ويتعلق الأمر بتلك التي يُعبّر عنها بعبارة مطوّلة وليس لها مصطلح خاص مختصر في لفظ واحد، حيث تكون تلك التسمية غير كافية وحدها لتدل على أنها خاصة بأداة اتساق أو بوسيلة انسجام إلا مع التنبيه أو الشرح أو على الأقل السياق المناسب، مثل تسمية وسيلة "الكلام التام والكلام الناقص" ووسيلة "انكسار بنية الخطاب مع تماثل الفعلين الكلاميين".

خاتمة:

لا شك أن عرض العينات السابقة قد أثبت دعوى "الفوضى" في حق المصطلحات العربية في "علم النص" وأن المتتبع يدرك بسهولة ما هو واقع فيها من عدم دقة الاستعمال في الميدان، الأمر الذي يدعو الهيئات والمؤسسات المعنية إلى بذل الجهود

الساعية والكافية للترشيد والضبط اقتداء بأهل اللغات الحية ، بل يدعو الطاقات الفردية إلى الحد من استنزاف الجهود والاكتفاء بما هو موجود والالتجاء إلى ما هو صالح للاستعمال مما سبق إنشاؤه من المصطلحات ؛ إلا إذا اقتضى الحال إنشاء ما لم يسبق مثله فيكون التوليد حينها من الضرورات.

- 1- فضل، صلاح، بلاغة الخطاب وعلم النص، سلسلة عالم المعرفة، الكويت، د.ط، 1413هـ، ص 248.
- 2- ذكرت تسمية "علم نص لغوي" مثلاً في كتاب: مدخل إلى علم النص لزتسيسلاف واورزنيك تر: سعيد حسن بحيري، مؤسسة المختار، القاهرة، ط2، 1431هـ-2010م، ص69.
- 3- سعيد بحيري، علم النص، المفاهيم والاتجاهات، مؤسسة المختار للنشر والتوزيع، القاهرة، مصر ، ط1، 1424 هـ 2004 م، ص138.
- 4- المرجع نفسه، ص ص 15 - 126.
- (*)- تجنينا نقل النص الذي استعملت فيه المصطلحات حرفياً تقادياً للإطالة وإن كان الاطلاع عليها يوضح المسألة أكثر.
- 5- أبو صيني، عثمان محمد أحمد ، نحو النص، دراسة تطبيقية على سورة النور، عالم الكتب الحديث، إربد ، الأردن، 2005، ط1 ، ص ص 20-23.
- 6- المرجع نفسه ، ص 19.
- 7- نفسه، ص 24.
- 8- قياس، ليندة ، لسانيات النص، النظرية والتطبيق، مكتبة الآداب، القاهرة ، مصر، ط1، 1430 هـ -2009 م ، ص 57.
- (**)- اللفظ هنا: للزناد، لزهر، نسيج النص، المركز الثقافي العربي، بيروت، لبنان + الدار البيضاء، المغرب، 1991م، د.ط ، ص21، ذكره وهو يبرر استعماله لمصطلح نحو النص على غرار (نحو الجملة).
- 9- ينظر: صلاح فضل (مرجع سابق)، ص 247.
- 10- بحيري، سعيد حسن، علم لغة النص، ص124.
- 11- زتسيسلاف واورزنيك، مدخل إلى علم النص (م ، س)، ص69.
- 12- المرجع نفسه، ن ص.
- 13 - بوقرة، نعمان ، المصطلحات الأساسية في لسانيات النص وتحليل الخطاب (دراسة معجمية)، عالم الكتب الحديث للنشر والتوزيع و جداراً للكتاب العالمي للنشر والتوزيع ،إربد، ط2، 2010م ، ص 140 .
- 14- سعيد بحيري (مرجع سابق)، ص 183.
- 15- المرجع نفسه، ص124.
- 16- الزناد،الأزهر: نسيج النص(سابق)، ص18.
- 17- الشاوش،محمد،أصول تحليل الخطاب في النظرية النحوية العربية- تأسيس "نحو النص" ،المؤسسة العربية، بيروت، د.ط، 1421 هـ - 2001 م، ص96.
- (***)- سئل الشاوش مباشرة: كيف يستعمل المصطلح (في عنوان كتابه) ويقول هذا الكلام؟ فرد بقوله: "لا تناقض بين القول بانعدام مبرر التسمية "نحو النص" واستعمال هذه التسمية، لاختلاف مستوى الطرح.."وعرض مبرراته مكتوبة إلكترونياً بتاريخ 2016/01/15.
- 18- قد يقال: المسألة تدخل في دائرة التطور الدلالي للمصطلح، وهو أمر مقبول مع كثرة الاستعمال الحاصل، ولكن كل ما في الأمر أن المقال يريد تحري الدقة.
- 19 - صلاح فضل (مرجع سابق)، ص 247.
- 20 - ينظر مثلاً:
- أ - العبد، محمد، النص والخطاب والاتصال، الأكاديمية الحديثة للكتاب الجامعي، القاهرة، ط1، 1426هـ-2005م، ص89.

- ب - الفقي، صبحي إبراهيم، علم اللغة النصي، بين النظرية والتطبيق، دار قباء، القاهرة، ط1، 1421هـ-2000م، ج1، ص33، (مع الشرح).
- ت - الشاوش، محمد، أصول تحليل الخطاب في النظرية النحوية العربية، ج1، (سابق)، ص150.
- ث - بحيري، سعيد، علم لغة النص، ص128.
- ج- مصلوح، سعد، نحو أجرومية للنص الشعري" دراسة في قصيدة جاهلية، مجلة فصول، مجلد10، عدد1: يوليو1991، أغسطس1991، ص154.
- 21 - ينظر: أ- مصلوح، سعد، نحو أجرومية للنص الشعري"، مجلة فصول(سابق)، ص154.
- ب- بحيري، سعيد، علم لغة النص، ص128.
- 22 - بوقرة، نعمان، المصطلحات الأساسية في لسانيات النص وتحليل الخطاب (سابق)، ص38.
- 23 - مثلاً: في" نحو أجرومية للنص الشعري" دراسة في قصيدة جاهلية، (سابق).
- 24 - العبد، محمد، النص والخطاب والاتصال، ص100.
- 25 - الفقي، صبحي إبراهيم، علم اللغة النصي بين النظرية والتطبيق، ج1، ص96.
- 26 - بحيري، سعيد حسن، علم لغة النص، المفاهيم والاتجاهات، ص132.
- 27 - العبد، محمد، النص والخطاب والاتصال، ص100.
- 28 - ينظر مثلاً: الفقي، صبحي إبراهيم، علم اللغة النصي، بين النظرية والتطبيق، ج1. ص ص:78-79، 84-249.
- 29 - ينظر مثلاً: أ- الفقي، صبحي إبراهيم، علم اللغة النصي، ج1، ص249.
- ب- العبد، محمد، النص والخطاب والاتصال، ص ص 104+107.
- 30 - ينظر مثلاً: العبد، محمد، النص والخطاب والاتصال، ص109.
- 31 - ينظر مثلاً: أ - العبد، محمد، النص والخطاب والاتصال، ص93.
- ب- الفقي، صبحي إبراهيم، علم اللغة النصي، ج1، ص33.
- 32 - الغموش، خلود، الخطاب القرآني، دراسة في العلاقة بين النص والسياق، عالم الكتب الحديث، الأردن، ط1، 1429هـ - 2008م، ص20.
- 33- ينظر: العبد، محمد، النص والخطاب والاتصال، ص170.
- 34- هذا ما يفهم من القاموس المحيط في مادتي: أدي (ص126) - وسل (ص1080).
- 35- ينظر: بحث لصاحب المقال: حلواجي، علي، واقع تدريس الاتساق و الانسجام من خلال برنامج الأدب و النصوص- السنة الثانية من التعليم الثانوي نموذجاً- دراسة تحليلية نقدية، بحث مقدم لنيل شهادة الماجستير في علوم اللغة، تخصص تعليمية، بجامعة الجزائر، سنة2009/2010، ص73 وما بعدها.
- 36- ينظر، مثلاً: خطابي، محمد، لسانيات النص، المركز الثقافي العربي، بيروت، د.ط، 1991م، ص205.